

الوافي في الوفيات

يا من لها من الحسرة عيلةٌ عبدةٌ ... رقي عليّ فليس قلبي عنترا .
غادرتني والصبرُ مشدودُ الوركَا ... وغدرت بي والدِّمعُ محلولُ العُرا .
وجعلت قلبي بالهمومِ مُزْمَلاً ... إذ كان طرفك بالفتورِ مُدثِّراً .
وفتحت أبواب السُّهادِ لناظري ... وجعلت ليلي بالهمومِ مُسمِّراً .
فمتى أقولُ جوانحي بك قد هدّت ... ومدامعي رجعت عليك إلى ورا .
وقال : .
يا ليلةَ الوصلِ بل ليلةَ العُمُرِ ... أحسنتِ إلاّ إلى المشتاق في القِصرِ .
يا ليتَ زيدَ بحكم الوصلِ فيك له ... ما طوّل الهجرُ من أيّامه الأخرِ .
أوليتَ نَجْمَكَ لم تُعقلِ ركائبه ... أوليتَ صُحْبَكَ لم يقدّم من السّفَرِ .
أو ليتَ لم يصفُ فيك الشّرقُ من عبّسٍ ... فذلك الصّفوفُ عندي غايّةُ الكدَرِ .
أو ليتَ كُلاًّ من الشّرقين ما ابتسما ... أوليتَ كُلاًّ من النّسرين لم يطرِ .
أو ليتَ كنتِ كما قد قال بعضُهُم ... ليلَ الضريرِ فصُحبي غيرُ مُنتظَرِ .
أو ليتَ حُطّاً على الأفلاكِ قاطبةً ... همّني عليك فلم تنهض ولم تسرِ .
أو ليتَ فجرِكَ مفتراً به رشئي ... أو ليتَ شمسِكَ ما غارت على قَمَرِي .
أو ليتَ قلبي وطرفي تحتَ مُلكِ يدي ... فزردتُ فيك سوادَ القلبِ والبَصَرِ .
أو ليتَ ألقى حبيبي سحرَ مُقلته ... على العِشاءِ فأبقاها بلا سحرِ .
أو ليتَ كان يُفدي من كَلِقتُ به ... درّ النجومِ بيما في العِقدِ من دُرَرِ .
أو ليتَ كنتِ سألتيه مساعدةً ... فكان يحوكُ بالتّكحيلِ والشعرِ .
أو ليتَ جُملةَ عُمري لو غدا ثمّناً ... في البعضِ منك ومن ليلعُمي بالعوَرِ .
كأنّهّا حين ولّات قمتُ أجذبُها ... فانقدّ في الشّرقِ عنها الثوبُ من دُبُرِ .
لا مرحباً بصباحٍ جاءني بدلاً ... من غُرّةِ النجمِ أو من طلعةِ القَمَرِ .
زار الحبيبُ وقد قالت له خُدعي ... زُره وقال له الواشون لا تزُرِ .
فجاءَ والخَطوُ في ريبٍ وفي عَجَلٍ ... كقلبه جاءَ في أمّني وفي حَذَرِ .
كأنّّه كان من تخفيفِ خطوتيه ... يمشي على الجَمَرِ أو يسعى على الإبرِ .
وقال إذ قلتُ ما أحلّى تخفُّره ... تبرّجَ الحُسنِ في خدِّي من الخَفَرِ .
يا أخضرَ اللّونِ طابِتَ رائحةُ ... وغبتَ عنّا فما أبقيتَ للخضرِ .
فقام يكسِرُ أجفاناً ملاحظتها ... تُعزّي إلى الحُورِ دَعُ تُعزّي إلى الحَوَرِ .

وقمتُ أَسألُ قلبي عن مَسرَّتِهِ ... بما حواهُ وعندي أ_كثُرُ الخَبرِ .
وبتُّ أ_حسِبُ أنَّ الطَّيِّفَ ضَاجِعَني ... حتَّى رَجَعَت أَشهى الظَّنَّ في السَّهرِ .
أ_وردتُ صَدريَ صَدراً من مُعانقَةٍ ... وحينَ أ_وردتُ لم أَقدر عَلاى المَصدَرِ .
وكان يَمَنَعني ضمّاً ورَشفاً لَمَئىً ... ضَعفُ من الخَصرِ أ_و فَرطُ من الخَصرِ .
وكدتُ أ_غنى بذاك الرِّيق من فَمِهِ ... ومنطقٍ منه عَن كَأَس وعن وَتَرِ .
وبتُّ أَشفقُ من أَنفاسِهِ حَذِراً ... من أن يَعود عِشاءُ اللَيلِ كَالسَّجَرِ .
ومرَّ يَسبقُ دَمعي وهوَ يَلحَقه ... كَالسَّيلِ شُيْبِيعِ في مَجراهُ بِالْمَطَرِ .
وقال : .

يا قلبُ ويحكُ إنَّ طَبيكَ قد سَنَحَ ... فتنَجَّ جُهدكُ عن مَراتِيعِهِ تَنجُ .
وأ_رَدتُ أَعقله ففرَّ من الحَشا ... طرباً وأ_حسبُهُ فطار من الفَرحِ .
وأ_تى فطال صَريعَ هَذاكَ اللَئِى ... عَطَشاَّ وعاد قَتيلَ هاتيكِ المُلاحِ